تقديس الحضارة المادية

كُلَّما قرأتُ قصة ثمود تساءلت؟!، قوم ثمود كانوا على مستوىً عالٍ من التمكُّن السياسي ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 74]، وكذلك بلغوا مبلغاً عظيماً من الناحية العمرانية والهندسية، فهم كما وصفهم القرآن: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ [الشعراء: 149]، ومساكنهم التي في الحِجر كانت تُوفِّر لهم أمناً مجتمعياً عميماً، ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: 82]، وفوق كلِّ هذا حَظي قوم ثمود ببيئةٍ زراعيةٍ متقدمة، ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء:146-148]، إذن كان عندهم تقدمٌ في كل المجالات!!، أمنياً واجتماعياً وزراعياً وسياسياً ووفرة في الموارد، والناس ليس عندهم مشاكل مادية!، ما حاجتهم لرسول من عند الله إذن؟؟!.

الإجابة تحتاج منك تجرداً ومصارحةً، والقرآن لم يجعل المسألة قابلةً للأخذ والرد، بل عرضها بكلِّ وضوحٍ لا مِراء فيه ولا التواء!!، الجواب: لأنهم كانوا يُعظِّمون المادة وغارقين في اللذة، وكانت غايتهم في الحياة هي تحصيل اللذات فقط!!، فهم قد كانوا مشركين بالله، ولكنَّ مسألة الإيمان بالله مُؤجلةٌ عندهم، ولا وقت لديهم للحديث عنها... يَبنُون القصور الشاهقة ويعمرون الأرض بالبنيان ومع ذلك يُسميهم القرآن مُفسدين ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74]، نعم مُفسدون، فأصحاب التقدم الهندسي والزراعي في زماننا يَعدِمُون الحيوانات إذا ضاق بهم الأمر، ويُتلفون المحصول بعد حصاده إذا فاض ونزل سعره في السوق، ولا يطعمونه للفقراء، بل ومستعدون لإبادة الناس اذا تعلق الأمر بحضارتهم المادية، وهكذا فعلت ثمود، فقد سعوا لقتل نبي الله صالح